حملة نابليون على مصر

(وثيقة)

أطلعني الأستاذ الشيخ المغربي رحمه الله ، قبيل وفاته ، على وثيقة خطية تاريخية كتبت في ثلاث صفحات ، من القطع الكبير ، في فراغ وجده الكاتب في نهاية الجزء الأول من « الطبقات الكبرى » للسبكي فاستأذنته في نسخها ونشرها ، فرحب بذلك وأجاز لي نشرها في مجلة المجمع العلمي العربي .

كان من العادة المألوفة عند المتقدمين أن يدونوا في فراغ الكتب ، وهوامشها بعض الطرف الأدبية والحوادث الخاصة والعامة ، قديمة كانت أو معاصرة لهم . ولا يخلو أكثرها من فوائد يُعمر بعضها ما عمّر الكِتاب ، وتنتشر بمداولته بين الناس ويعتمدها الرواة . وهذه الوثيقة هي من هذا النوع دون بها المدعو : محمد ابن الشيخ عمر ابن الشيخ ياسين الجيلاني ما سمعه في الديار الشامية عن أخبار حملة نابليون الافرنسية على مصر في شهر محرم ١٢١٣ هـ الى يوم جلائهم عام ١٢١٦ هـ .

وهذه الوثيقة على إيجازها صحيحة في جملتها ، لولا مبالغة في عدد جيوش العدو المعتدي وخسائرها في النفوس ، وتتفق هذه المعلومات بخطوطها الأساسية مع ما أورده الجبرتي في تاريخه . وهذا نصها :

جعفر الحسني

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

بسم الله الرحمن الرحيم وصلاته وسلامه على خير خيرته من خلقه الكريم وعلى آله وصحبه أولي النجدة والشجاعة وأهل المروأة والبلاغة . أما بعد فيقول الفقير الى مولاه محمد ابن الشيخ عمر ابن الشيخ ياسين المتصل نسبه بالقطب الرباني ذي الكأس النوراني[١] سيدي الشيخ محيي الدين عبد القادر الجيلان[٢] : لما كان تاريخ سنة ألف ومأتين وثلاثة عشر عاماً من هجرة من له العز والشرف في غرة محرم الحرام وردت الأخبار الى البلاد الشامية أن طائفة الفرانسة من الكفرة المشركين جاءوا الى مصر وأخذوا الاسكندرية[٣] مع ما يليها من بلاد رشيد ودمنهور البحيرة فجاء خبرهم الى القاهرة فخرجت الى لقائهم الصناجق فالتقوا معهم على أرض امبابه وحصل بينهم قتال عظيم[٤] . ثم الكفرة الملاعين كسروا الصناجق وفرت العساكر أمامهم منهزمين فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ثم دخلت الكفار الى مصر والقاهرة[٥] وأظهروا العدل والأمان وكل ذلك مكر وخداع ثم استولوا على أموال الصناجق ونسائهم وصاروا يفجرون فيهم واستولوا على قلعة الجبل وصاروا يحصنونها ويهيأون أسباب المنعة .

---

(١) تعبير صوفي يعني كأس المعرفة .

(٢) كذا في الأصل وصوابها الجيلاني أو الجيلي . وهو من كبار الزهاد والمتصوفين ومؤسس الطريقة القادرية تنسب اليه عائلة الكيلاني الدمشقية والحموية . توفي في بغداد سنة ٥٦١ هـ .

(٣) جاء في تاريخ مصر للجبرتي ما نصه : « في يوم الخميس ٨ محرم سنة ١٢١٣ حضر الى الاسكندرية عشرة مراكب انكليزية ووقفت على البعد بحيث يراها أهل الثغر ، وبعد قليل حضر خمسة عشر مركباً . وفي يوم الاثنين ١٨ محرم ١٢١٣ وردت [على الاسكندرية] مراكب وعمارات للفرنسيين كثيرة » .
وجاء في دائرة المعارف الافرنسية أن الحملة الافرنسية كانت مؤلفة من (٣٠) بارجة حربية كبيرة و (٧٢) صغيرة و (٤٠٠) ناقلة و (١٠٠٠٠) بحار و (٣٣٥٠٠) من المشاة و (٢٥٠٠) فارس .

(٤) كانت هزيمة انبابه يوم الجمعة ٢٩ محرم ١٢١٣ .

(٥) يوم ٢١ تموز ١٧٩٨ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

ثم في ذلك العام وصلوا الى عريش مصر قاصدين البلاد الشامية فجاؤا الى عريش مصر . وكان حضرة السلطان سليم خان أقام ابراهيم باشا سرداراً للعسكر ثم لما لم يقدر على ذلك عزله وولى حضرة الوزير الوقور الحاج أحمد باشا الملقب بالجزار أصلحه الله ، وجعل له الجنة دار القرار آمين . فأخذ المذكور بهي[1] أسباب الجهاد ورتب عسكراً في غزة والرملة وما والاها ، ثم لما جاءت الملاعين الى العريش فرت العساكر وما نفعت فصارت الكفرة كلما قام العسكر من بلدة يلحقونهم الى أخرى الى أن حاصروا يافا[2] وأخذوها قهراً وسبوا أهلها قسراً فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ثم لما فرغوا من أمر يافا[2] جاءوا وحاصروا عكا[3] وبها حضرة الوزير الحاج أحمد باشا فلاقاهم بمدافع كالرعود القواصف وقنابر كالشهب المتناثرة وأبطال طالبين الآخرة ، وصابرهم على الحصار ودافعهم عن عكا[3] وما هنالك من الأقطار واستمر الحصار على عكا[3] من شهر شوال الى ذي الحجة الحرام ثم هجموا على عكا[3] بعد أن هدموا جانباً من سورها ودخل منهم جماعة الى داخلها فأعان الله عليهم المسلمين فقتلوا الذين دخلوا فلما أمسى المساء أشعلت الكفار في أرديهم[4] النار ثم أصبح المسلمون فما وجدوا من الكافرين ديار (كذا) ولا نافخ نار فجهز عند ذلك حضرة الوزير الوقور الحاج أحمد باشا من رؤوس[5] الكفا[ر] مقداراً وافياً الى أبواب السلطنة مع باش جوقداره[6] فقوبل من السلطنة بالاكرام والإنعامات الوفية ثم وجه

(١) في الأصل : بيباً .
(٢) في الأصل : يافه .
(٣) في الأصل : عكة .
(٤) كلمة تركية معناها : المسكر .
(٥) في الأصل : رواس .
(٦) جوقدار وجوخدار كلمة تركية بمعنى رسول أو ساعي البريد وباش بمعنى رئيس .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

السلطان سليم خان حضرة [1] الوزير الأعظم وزير الصدارة مع العساكر والذخاير الى قطع دابر هؤلاء الكفار فبرز [الى] اسكدار [2] وجاءتنا الى حماة الأخبار بأنه قريب من قونية ثم جاءت الأخبار بأن الكفار الملاعين مقيمين (كذا) إلى حال تاريخه وهو ختام المحرم سنة ألف ومايتين وأربعة عشر عام في عريش مصر وهم يعمرون لهم حصناً لأجل أن يلاقوا عساكر المسلمين فنرجو من الله المعين أن يؤيد هذا الدين ويقطع عنا دابر المشركين وصار الخاج أحمد باشا الجزار يحصن عكا [3] وبنى لها سوراً خارج سورها الأول وأخبر من رآه بأنه سور عظيم وأدخل من داخله مقام نبي الله صالح عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام . ثم لما استهل هلال ربيع الأول من سنة ألف ومائتين وأربعة عشر وصل الى حماة أردي همايون [4] صحبة الوزير الوقور ضياء الدين يوسف باشا [5] صدر أعظم ومكث في حماة عشرة أيام وصحبته العساكر الجرارة والذخاير وأرسل في البحر عساكر آخرين مع المدافع وآلات الحروب شيء (كذا) كثير وصحب معه ومع انكجر اغاصي [6] مدافعاً أخر ولكنها قليلة لأجل الاشتهار وإلا فأكثر المدافع والجبخانات [7] سارت في البحر نسأله تعالى النصر لنا ولهم على الكفار آمين . ثم سار الى الشام ثم الى غزة وأرسل الى حصار العريش [8] عساكر الموحدين فأخذوها [9] وقتلوا من هنالك من الكفرة الملاعين وسار بعد ذلك الى الصالحية

---

(١) في الأصل : حضرت .
(٢) أقدم أحياء اسلامبول وأوسعها يقع على شاطىء البوسفور الآسيوي .
(٣) في الأصل : عكة .
(٤) كلمتان تركيتان تعني : جيش السلطاني .
(٥) ترجم له في قاموس الأعلام لشمس الدين سامي ٦ : ٤٨١٧ .
(٦) أي رئيس الأنكشارية .
(٧) لفظة تركية تفيد : الذخائر الحربية .
(٨) بلدة معروفة في أول صحراء سيناء .
(٩) يوم ٢٥ حزيران ١٨٠١ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

ودخلت المسلمين (كذا) الى القاهرة صلحاً مع الكفار لا بضرب بالصارم البتار ثم بعد ذلك نقضت الكفار الصلح وخرجوا لقتال الوزير وقاتلوه فهرب ولم يقم قدامهم ولا ساعة وولى الأدبار وتبعوه يضربون بالمدافع ثم لما ولى الوزير منهزماً رجعوا وحاصروا من هنالك من المسلمين وعساكر الموحدين وكان في مصر ناصوح (كذا) باشا العظم الحموي المولد والمنشأ فاقتتلوا وظنوا أن الوزير يرسل اليهم عساكر ليقويهم على الكفار فلم يرسل لهم أحد (كذا) . ثم لما طال على المسلمين الحصار أخرجتهم الكفار تحت الأمان ودفعوا الى ناصوح باشا بعض الجمال والذخيرة فرجع الى عند الوزير الى يافا[1] ثم جرت هناك أحوال يطول شرحها ثم بعد نحواً (كذا) من سنة جهز الوزير عساكر أخر مع المراكب وسار الى مصر ثم دخلها أيضاً بغير قتال لكون الكفرة الملاعين ذهب أكثرهم شيئاً في القتال وشيئاً في الطاعون وعلى القول أنهم خرجوا من بلادهم مائتا الف مقاتل[2] وحين أخرجوا من مصر بقي منهم نحو من عشرين ألف فأرسلهم مع الانكليز ....[3] ومكث يرتب أمور البلاد المصرية والى الآن ما جاءنا خبر يكتب . ثم ورد بعد أن رتب أمور مصر الوزير صدر أعظم ضيا يوسف باشا راجعاً على العريش الى الشام الى حماه واستقام بها قريباً من عشرة أيام وكان نصب أوطاقه[4] في المصطبة وتوجه منها الى حلب على الطريق السلطاني ثم الى اسلامبول والله أعلم . » انتهى

---

(١) في الأصل : يافه .
(٢) هنا مبالغة في التقدير راجع حاشيتنا رقم (٣) ص : ٣٠٤ .
(٣) شطب ثلاث كلمات لم نتبينها .
(٤) كلمة تركيه بمعنى خيمة .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net